الحَسَد

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ باللَّه من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد فإن أصدق الحديث كلام اللَّه تعالى، وخير الهدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللَّهم! إني أسلمت وجهي إليك. وفوضت أمري إليك. وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت. وبنبيك الذي أرسلت[(١)].

اللَّهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا

---

(١) رواه مسلم [٢٧١٠/٥٦] عن البراء بن عازب رضي اللَّه تعالى عنه.
قوله: «أسلمت وجهي إليك». أي: استسلمت وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك. قال العلماء: الوجه والنفس هنا بمعنى: الذات كلها. يقال: سلم وأسلم واستسلم بمعنى. وقوله: «ألجأت ظهري إليك» أي توكلت عليك واعتمدتك في أمري كله كما يعتمد الإنسان بظهره إلى ما يسنده.
وقوله: «رغبة ورهبة» أي طمعاً في ثوابك وخوفاً من عذابك.

والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو تحل عليّ سخطك لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله[١].

- أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة[٢].
- أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق[٣].
- أعوذ بكلمات الله التامات، من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون[٤].
- أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق، وبرأ، وذرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن[٥].
- اللَّهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللَّهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء[٦].
- اللَّهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر، ولكنك احتفظت

---

(١) يقول الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة: وفي هذه الغمرة من الأسى والحزن، والآلام النفسية والجسمانية توجه الرسول ﷺ إلى ربه بهذا الدعاء الذي يفيض إيماناً ويقيناً، ورضى بما ناله في الله، واسترضاء لله، والذي لم أقف على مثيل له فيما قرأت.
السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة [١/ ٤٠٢]
ويقول الدكتور أكرم العمري: والحديث أخرجه ابن إسحاق بسند صحيح، لكنه مرسل محمد بن كعب القرظي، والمرسل من أنواع الضعيف لا يُحتج به إلا مع قرائن.
السيرة النبوية الصحيحة [١/ ١٨٦].
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٦/ ٥٣] وقال: رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلِّس، وبقية رجاله ثقات.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣١٩١] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

(٣) رواه مسلم [٢٧٠٨/ ٥٤] عن خولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها.

(٤) رواه الترمذي [٣٥٢٨] وقال الألباني: حسن.

(٥) رواه مالك في الموطأ [٢/ ٩٥٠/ ١٧٠٥] والطبراني في الكبير [٤/ ١١٥] عن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه.

(٦) رواه مسلم [٢٧١٣/ ٦١] عن جرير رضي الله تعالى عنه.

obeikandl.com

لذاتك بإذن الضر، فأعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك:

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

● اللَّهم إنك قد سلَّطْتَ علينا بذنوبنا عدواً بصيراً بعيوبنا، يرانا هو وقبيله ولا نراه، اللَّهم آيسْهُ منَّا كما آيَسْتَهُ من رحمتك، وقنِّطه منَّا كما قنَّطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك، إنك على كل شيء قدير.

اللَّهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[١].

اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي، مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم[٢].

---

(١) رواه البخاري [٥٩٤٧] عن شداد بن أوس رضي اللَّه تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».
قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة.
قوله: «سيد الاستغفار» السيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور وسيد القوم أفضلهم ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم لا سيما وقد ذُكر اللَّه تعالى فيه بأكمل الأوصاف، وذُكر العبد بأضعف الحالات، وهذا أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة والخضوع لمن لا يستحق ذلك إلا هو سبحانه.
قوله: «على عهدك ووعدك» ثابت ومستمر على الوفاء بما عاهدتك عليه، ووعدتك بالقيام به، من صدق الإيمان بك وحسن التوكل عليك وصالح الطاعة لك.
قوله: «ما استطعت» قدر استطاعتي. «أعوذ» استجير وألتجئ. «أبوء» أقر وأعترف.
«موقناً» مخلصاً من قلبه مصدقاً بعظيم ثوابها.
«من أهل الجنة» السابقين لأن الغالب بمن قالها موقناً بمضمونها أنه لا يعصي اللَّه تعالى، أو لأن اللَّه تعالى يشمله بعفوه ببركة هذا الاستغفار.

(٢) روى البخاري [٧٩٩] عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه: أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم».

=

obeikandl.com

١

الحسد والإصابة بالعين

روي أن الحسد مذموم وصاحبه مغموم وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[(١)].

وقال الحسن رضي اللّه تعالى عنه: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد: نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد.

وقال عبد اللّه بن مسعود: لا تعادوا نعم اللّه. قيل له: ومن يعادي نعم اللّه؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله، يقول اللّه تعالى في بعض الكتب: «الحسود عدو نعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمتي».

قال القرطبي: معنى الحسد أنه تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها. والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل. فالحسد شر مذموم. والمنافسة مباحة وهي الغبطة.

وقد روي أن النبي ﷺ قال: «المؤمن يغبط؛ والمنافق يحسد»[(٢)].

= قال السندي في حاشيته على النسائي: قوله: «إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً» في فتح الباري فيه أن الإنسان لا يعرى عن تقصير ولو كان صديقاً.

قلت: بل فيه أن الإنسان كثير التقصير وإن كان صديقاً لأن النعم عليه غير متناهية، وقوته لا تطيق بأداء أقل قليل من شكرها، بل شكره من جملة النعم أيضاً، فيحتاج إلى شكر هو أيضاً كذلك، فما بقي له إلا العجز والاعتراف بالتقصير الكثير، كيف وقد جاء في جملة أدعيته صلى اللّه تعالى عليه وسلم: «ظلمت نفسي». «من عندك» أي من محض فضلك من غير سابقة استحقاق مني، أو: مغفرة لائقة بعظم كرمك.

(١) رواه أبو داود [٤٩٠٣] عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه والحديث دليل على تحريم الحسد وأنه من الكبائر. ونسبة الأكل إليه مجاز من باب الاستعارة. وقوله: «كما تأكل النار الحطب» تحقيق لذهاب الحسنات بالحسد كما يذهب الحطب بالنار ويتلاشى جرمه.

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء [٣/ ١٨٦] وقال العراقي: لم أجد له أصلاً مرفوعاً وإنما هو من قول الفضيل بن عياض. وكذلك العجلوني في كشف الخفاء، والفتني في تذكرة الموضوعات.

وفي الصحيحين: «لا حسد إلا في اثنتين»[1] يريد لا غبطة. وقال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول؛ وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساوئه ويطلب عثراته.

والحسد أول ذنب عُصي اللَّه به في السماء، وأول ذنب عُصي به سبحانه في الأرض، فحسد إبليس آدم، وحسد قابيل هابيل. والحاسد: ممقوت، مبغوض، مطرود، ملعون.

والحسد لا يكون إلا على نعمة، فإذا أنعم اللَّه على أخيك نعمة، فلك فيها حالتان:

إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسداً.

الثانية: أن لا تحب زوالها، ولا تكره وجودها، ودوامها له ولكن تريد لنفسك مثلها، فهذا يسمى غبطة.

فالأول: حرام على كل حال، إلا نعمة على فاجر أو كافر وهو يستعين بها على: تهييج الفتنة، وإفساد ذات البين، وإيذاء العباد، فهذه لا يضرك كراهتك لها، ولا محبتك زوالها، فإنك لم تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة للفساد.

ووجه تحريم الحسد مع ما عُلم من الأحاديث: أنه تسخط لقدر اللَّه تعالى، وحكمته في تفضيل بعض عباده على بعض. ولذا قيل:

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِداً ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ؟
أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ ... لأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

ثم الحاسد إن وقع له الخاطر بالحسد فدفعه، وجاهد نفسه في دفعه؛ فلا إثم عليه بل لعله مأجور في مدافعة نفسه، فإن سعى في زوال نعمة المحسود؛ فهو باغ. وإن لم يسع ولم يظهره لمانع العجز، فإن كان بحيث لو أمكنه لفعل؛ فهو مأزور وإلا فلا. أي: لاوزر عليه. لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدتها أن لا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها.

وفي الإحياء: فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه وردّ إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة، فهو حسود حسداً مذموماً، وإن كان نزعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفى

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري [١٣٤٣]، ومسلم [٨١٦/٢٦٨] عن ابن مسعود رضي اللَّه تعالى عنه.

عنه ما يجده في نفسه من ارتياحه إلى زوال النعمة من محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه.

وهذا التفصيل يشير إليه ما أخرجه عبد الرزاق مرفوعاً: «ثلاث لا يسلم منهن أحد: الطيرة والظنّ والحسد» قيل: فما المخرج منها يا رسول اللّه؟ قال: «إذا تطيرت فلا ترجع وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ»[1].

وأخرج أبو نعيم: كل ابن آدم حسود ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو يعمل باليد.

وفي الزواجر لابن حجر الهيثمي: إن الحسد مراتب: وهي إما محبة زوال نعمة الغير، وإن لم تنتقل إلى الحاسد. وهذا غاية الحسد، أو مع انتقالها إليه أو انتقال مثلها إليه، وإلا أحب زوالها لئلا يتميز عليه، أو لا مع محبة زوالها، وهذا الأخير هو المعفوّ عنه من الحسد إن كان في الدنيا، والمطلوب إن كان في الدين.

وهذا القسم الأخير يسمى غيرة، فإن كان في الدين فهو المطلوب، وعليه حُمل ما رواه الشيخان من حديث ابن عمر أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه اللّه مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»[2] والمراد: أنه يغار ممن اتصف بهاتين الصفتين فيقتدي به محبة للسرور في هذا المسلك ولعل تسميته حسداً مجاز.

واعلم: أن دواء الحسد الذي يزيله عن القلب: معرفة الحاسد أنه لا يضر بحسده المحسود في الدين ولا في الدنيا، وأنه يعود وبال حسده عليه في الدارين. إذ لا تزول نعمة بحسد قط، وإلا لم تبق للّه نعمة على أحد حتى نعمة الإيمان؛ لأن الكفار يحبون زواله عن المؤمنين، بل المحسود يتمتع بحسنات الحاسد لأنه مظلوم. سيما إذا أطلق لسانه بالانتقاص والغيبة وهتك الستر وغيرها من أنواع الإيذاء، فيلقى اللّه مفلساً من الحسنات محروماً من نعمة الآخرة كما حرم من نعمة

---

(١) جزء من حديث رواه عبد الرزاق عن إسماعيل بن أمية. وقال الحافظ في الفتح: مرسل أو معضل لكن له شاهد من حديث أبي هريرة رواه البيهقي في الشعب، وعند ابن ماجه من حديث جابر رضي اللّه تعالى عنه يرفعه: «إذا ظننتم فلا تحققوا وإذا حسدتم فلا تبغوا..».

(٢) سبق تخريجه.

سلامة الصدر وسكون القلب والاطمئنان في الدنيا. فإذا تأمل العاقل هذا؛ عرف أنه جرّ لنفسه بالحسد كل غم ونكد في الدنيا والآخرة.

قال القرطبي في تفسير سورة الفلق: هذه سورة دالة على أن اللَّه سبحانه خالق كل شر وأمر نبيه ﷺ أن يتعوذ من جميع الشرور. فقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيهاً على عِظمه وكثرة ضرره.

obeikandl.com

٢

الحاسد عدو نعمة اللّه

قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

وثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة؟

وثالثها: أنه ضاد فعل اللّه، أي إن فضل اللّه يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل اللّه.

ورابعها: أنه خذل أولياء اللّه أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم.

وخامسها: أنه أعان عدوه إبليس.

وقيل: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً واحتراقاً، ولا ينال من اللّه إلا بعداً ومقتاً.

obeikandl.com

٣

أنواع الحسد

والحسد نوعان: مذموم ومحمود.

فالمذموم: أن تتمنى زوال نعمة اللَّه عن أخيك المسلم، سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أوْ لا، وهذا النوع الذي ذمه اللَّه تعالى في كتابه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] وإنما كان مذموماً لأن فيه تسفيه الحق سبحانه وأنه أنعم على من لا يستحق.

وأما المحمود: فهو ما جاء في صحيح الحديث من قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه اللَّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه اللَّه مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[(١)].

وهذا الحسد معناه الغبطة. وكذلك ترجم عليه البخاري «باب الاغتباط في العلم والحكمة» وحقيقتها: أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة، ولا يزول عنه خيره. وقد يجوز أن يسمى هذا: منافسة، ومنه قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

أي: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وهو محمد ﷺ، والقرآن الذي جاء به.

قال العلامة ابن القيم رحمة اللَّه تعالى عليه: والحسد كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فُضِّل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره؛ فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فُضِلَ عليه ورُفع فوقه؛ غُصَّ بريقِهِ، واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان من بين الملائكة.

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم عليه السلام، وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول اللَّه، جاء بالبينات والهدى. فحملهم الحسد

---

(١) لم أجده فيما تحت يدي من مراجع سوى القرطبي.

على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والأمراء.

هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة.. ولم يأت بشريعة تخالفها، ولم يقاتلهم، وإنما أتى بتحليل بعض ما حُرم عليهم من علمائهم؛ تخفيفاً، ورحمة، وإحساناً، وجاء مصححاً لشريعة التوراة، ومع هذا اختاروا الكفر على الإيمان.

فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة للتوراة، مبكتاً لهم بقبائحهم، ومنادياً على فضائحهم ومخرجاً لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه، وهو في ذلك كله يُنصر عليهم، ويظْفرُ بهم، ويعلو هو وأصحابه، فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم؟!

وأين يقع حالهم معه ﷺ من حالهم مع المسيح عليه السلام، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى؟ وهذا السبب وحده كافٍ في رد الحق، فكيف إذا انضاف إليه زوال الرياسات والمأكل ـ كما تقدم ـ؟

وقد قال المسور بن مخرمة ـ وهو ابن أخت أبي جهل ـ لأبي جهل: يا خالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي واللَّه لقد كان محمد فينا وهو شاب يدعى الأمين فما جربنا عليه كذباً قط. قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه! قال: يا ابن أختي: تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف؛ فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي. فمتى ندرك مثل هذه؟

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا.

فقال أبو جهل: ويحك! واللَّه إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟

ومن كلام بعض السلف: الحسود لا يسود. كما في رسالة القشيري. وقيل: الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل، وأنه أصل لكل خطيئة.

وقال الأحنف بن قيس: لا راحة لحسود.

وروى البيهقي في الشعب عن خليل بن أحمد: ما رأيت من ظالم أشبه بمظلوم من حاسد: نَفَس دائم، وعقل هائم، وحزن لائم.

وقال بعضهم: الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد وفي بعض الكتب الإلهية: الحاسد عدو نعمتي.

وفي الحقيقة: الحسود إنما يضر نفسه بل ربما كان سبباً لاشتهار المحسود كما قيل:

وإذا أراد اللّه نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وروي أن: ثمن الجنة ترك الحسد(١).

وإماتة الحسد تكون بالزهد، وتذليل المرح يكون بالسكون، ورياضة النفس حتى تصير مطية قد ارتاضت، فتصرفت حيث صرفها، فأرسلها في طلب العليات وهجر الدنيات.

غير أن الحسد يحمل صاحبه على اتباع هواه، وأن يتكلم فيمن يحسده بما يلقاه وما أحقه بقول القائل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

واللّه تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله.

وقد روي عن أبي ذر الغفاري رضي اللّه تعالى عنه أنه قال: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فصاروا اليوم شوكاً لا ورق فيه. وهذا زمان أبي ذر. وما ذاك من زماننا وأشراره. إن يسمعوا الخير أخفوه، وإن سمعوا شراً أذاعوه، وإن لم يسمعوا كذبوا. فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

---

(١) سبق تخريجه.

obeikandl.com

٤

ما يدفع اللَّه به الحسد

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول اللَّه ﷺ رقاه جبريل قال: «باسم اللَّه يبريك ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين»[(١)].

وعن أبي سعيد رضي اللَّه تعالى عنه، أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم اللَّه أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد اللَّه يشفيك. باسم اللَّه أرقيك»[(٢)].

وعن جنادة بن أبي أمية الكندي قال سمعت عبادة يحدث عن رسول اللَّه ﷺ أن جبريل أتاه وهو يرعد فقال: «باسم اللَّه أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من حسد حاسد، وكل عين، واسم اللَّه يشفيك»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم [٢١٨٥/ ٣٩].

(٢) رواه مسلم [٢١٨٦/ ٤٠].

(٣) رواه أحمد في المسند [٥/ ٣٢٣] وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

obeikandl.com

٥

علاج الحسد

قال العلامة ابن القيم: علاج الإصابة بالحسد أقسام:

القسم الأول: قبل الإصابة وهو أنواع:

١ ـ التحصن، وتحصين من يخاف عليه بالأذكار، والدعوات، والتعوذات المشروعة، كما سبق من علاج السحر.

٢ ـ يدعو من يخشى أو يخاف الإصابة بعينه إذا رأى من نفسه، أو ماله، أو ولده، أو أخيه، أو غير ذلك مما يعجبه بالبركة، لقوله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة»[(١)].

٣ ـ ستر محاسن من يخاف عليه العين.

القسم الثاني: بعد الإصابة بالعين وهو أنواع:

١ ـ إذا عرف العائن أمر أن يتوضأ ثم يغتسل منه المصاب بالعين كما في النوع الثاني من علاج السحر.

٢ ـ الإكثار من قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ...﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والأدعية المشروعة في الرقية، مع النفث، ومسح موضع الألم باليد اليمنى.

٣ ـ يقرأ في الماء مع النفث ثم يشرب منه المريض ويصب عليه الباقي، أو يقرأ في زيت ويدهن به، وإذا كانت القراءة في زمزم كان أكمل إن تيسر، أو ماء السماء.

وكذلك أدعية الرقية كما في النوع الثاني من علاج السحر.

القسم الثالث: عمل الأسباب التي تدفع عين الحاسد، وهي كالتالي:

١ ـ الاستعاذة بالله تعالى من شره.

---

(١) جزء من حديث رواه ابن ماجه [٣٥٠٩] وصححه الألباني.

obeikandl.com

٢ ـ تقوى اللَّه تعالى وحفظه عند أمره ونهيه سبحانه: لقوله ﷺ: «احفظ اللَّه يحفظك»[(١)].

٣ ـ الصبر على الحاسد، والعفو عنه؛ فلا يقاتله، ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه.

٤ ـ التوكل على اللَّه، فمن يتوكل على اللَّه فهو حسبه.

٥ ـ لا يخاف الحاسد، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه. وهذا من أنفع الأدوية.

٦ ـ الإقبال على اللَّه، والإخلاص له، وطلب مرضاته سبحانه.

٧ ـ التوبة من الذنوب؛ لأنها تسلط على الإنسان أعداءه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

٨ ـ الصدقة والإحسان ما أمكن، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء والعين وشر الحاسد.

٩ ـ إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد لك أذى وشراً وبغياً وحسداً؛ ازدد أنت إليه إحساناً ونصيحة، وهذا لا يوفق له إلا من عظم حظه من اللَّه.

١٠ ـ تجريد التوحيد وإخلاصه للعزيز الحكيم، الذي لا يضر شيء ولا ينفع إلا بإذنه ـ سبحانه ـ وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب فالتوحيد حصن اللَّه الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين.

فهذه عشرة أسباب يندفع بها إن شاء اللَّه تعالى شر الحاسد والعائن والساحر[(٢)].

---

(١) رواه أحمد في المسند [٥/ ٣٢٣] وقال الأرناؤوط: صحيح.

(٢) جزء من حديث رواه ابن ماجه [٣٥٠٩] وقال الألباني: صحيح.

obeikandi.com

٦

هـــذا..

وهذا الكتاب قد حوى بين دفتيه شذرات مما ذكره فضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي رحمة اللَّه تعالى عليه عن الحسد، قمنا بانتقائه من خواطره الإيمانية، وبعض دروسه ثم رتبناه ووضعنا له العناوين اللازمة، وقمنا بالتعليق عليه وشرح غريبه وكتابة الحواشي اللازمة له.

ثم أتبعناه ببعض مما جاء في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة اللَّه تعالى عليه عن الحسد لتمام الفائدة وعموم النفع. واللَّه سبحانه المسؤول أن يتقبله وينفع به، وصلِّ اللَّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد للَّه رب العالمين.

عبد اللَّه حجاج

openkandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسد والإصابة بالعين

قال فضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد، أذن الخير التي استقبلت آخر إرسال السماء لهدى الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق مراده من الخلق، وعلى آله وصحبه. دعاة الحق، وسادة الخلق.. وبعد.

فقد قال فضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي: إن الحسد مقطوع به، برغم أنه ليس فيه مسائل مادية، والعلم المعاصر كلما يرتقي يمنحنا فكرة عن أن الشيء كلما شف أو لَطُفَ وأصبح دقيقاً أصبح أكثر عنفاً، ولقد ضربت المثل مرة بإنسان بنى بيتاً في حقل متسع، فمَّر عليه صديق وقال له: ألا تعرف أن هنا في هذا الخلاء المتسع ذئاباً؟ فقال صاحب البيت: نعم، وأوصى الصديق صاحب البيت بأن يبني نوافذ من الحديد؛ ليمنع الذئاب من أن تدخل عليه، ومرّ عليه صديق ثانٍ فقال له: إن حديد نوافذ المنزل متسع والثعابين موجودة بكثرة في هذا الخلاء، فوضع صاحب البيت ستارة من السلك على النوافذ، لكنَّ صديقاً ثالثاً مرَّ بصاحب المنزل وقال له: إن الناموس الفتاك ناقل الملاريا منتشر في هذه المنطقة وعليك أن تضع ستائر أكثر ضيقاً لمنعه من الدخول.

إذن.. من ذلك يتضح أن الشيء كلما لطُف كان عنفه أكبر، والعنف ليس مرتبطاً بجرمية المادة، إنما من عمق فاعلية المادة وتأثيرها.

وعلوم الطب تكشف كل يوم عن الأمراض الخطرة الفتاكة، وهذه الأمراض هي بسبب ميكروبات وفيروسات متناهية الدقة لا تُرى بالعين المجردة، ومنها ما لم يكشف عنه بعد، وهناك الآن أشعة الليزر التي يتم بها إجراء عمليات جراحية بدون مشرط أو نزول قطرة من دم، وهذه الأشعة تخترق أدق وأصلب الأشياء، وما زال في جعبة العلم الحديث الكثير والكثير.

إذن.. لماذا ننكر على الحاسد أن بصره قد يصدر عنه أشعة أَشَفُّ وأخطر

من أشعة الليزر؟ قد يقول قائل: وما ذنب المحسود؟ نقول أيضاً هنا: وما ذنب المقتول خطأ برصاصة؟ إن حساب ذلك بالثواب والعقاب عند الحق العليم، وعندما نقرأ القرآن الكريم نسمع قول الحق: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] هنا نكتشف أن الإنسان يمكن أن يحسد، ولذلك فمن المشروع للإنسان عندما يرى نعمة أن يقول: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»(١) فإن ذلك يغلق في قلبه نوافذ الإشعاع الحاسد؛ ذلك أن هذه الإشعاعات النافذة لا تخرج إلا في حالات الحقد والغضب.

إذن.. الإنسان عندما يقول: ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقرأ المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ...﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ...﴾ [الناس: ١] فإنه يقي نفسه أن يكون حاسداً، ويمنع غيره بقوة الحق من أن يكون حاسداً له(٢).

---

(١) إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. وقد ورد فيه حديث مرفوع في صحته نظر، روى أبو يعلى الموصلي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال؛ قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فيرى فيه إنه دون الموت، وكان يتأول هذه الآية: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]».

(٢) عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح، وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح، وروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وابن زيد، ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا.

قال القرطبي، وابن زيد، وابن جرير: وهي كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الخلق، وكذا قال الضحاك: أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله وقال كعب الأحبار: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، ورواه ابن أبي حاتم. ثم قال: حدّثنا أبي حدّثنا سهيل بن عثمان عن رجل سمّاه عن السدي عن زيد بن علي عن آبائه أنهم قالوا: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ جُبٌّ في قعر جهنم عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه. وكذا روي عن عمرو بن عنسبة وابن عباس والسدي وغيرهم.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر، فقال ابن جرير: حدّثني إسحاق بن وهب الواسطي حدّثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدّثنا نصر بن خزيمة الخراساني عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: =

= ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ جُب في جهنم مغطى. إسناده غريب ولا يصح رفعه.
وقال أبو عبد الرحمن الحيلي: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ من أسماء جهنم. قال ابن جرير: والصواب القول الأول إنه فلق الصبح، وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى.
وقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر جميع المخلوقات.
وقال ثابت البناني والحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق. ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس، حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه، وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخصيف، والحسن وقتادة: أنه الليل إذا أقبل بظلامه.
وقال الزهري: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الشمس إذا غربت، وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل: إذا ذهب. وقال أبو المهزم عن أبي هريرة: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الكوكب. وقال ابن زيد: كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها. قال ابن جرير: ولهؤلاء من الآثار: ما حدّثني نصر بن علي حدّثني بكار عن عبد الله بن أخي همام حدّثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: «النجم الغاسق». قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.
قال ابن جرير وقال آخرون: هو القمر. قلت: وعمدة أصحاب هذا القول: ما رواه الإمام أحمد حدّثنا أبو داود الجفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سلمة قال: قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع، وقال: «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن. به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح ولفظه: «تعوذي بالله من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب».
ولفظ النسائي: «تعوذي بالله من شر هذا. هذا الغاسق إذا وقب».
قال أصحاب القول الأول: وهو آية الليل إذا ولد، وهذا لا ينافي قولنا؛ لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه. والله أعلم.
وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك: يعني السواحر. قال مجاهد: إذا رَقَيْنَ ونفثن في العقد.
وقال ابن جرير: حدّثنا ابن عبد الأعلى حدّثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه=

= قال: ما من شيء أقرب إلى الشرك من رقية الحية والمجانين.
وفي الحديث الآخر: أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال: اشتكيت يا محمد؟ فقال: «نعم» فقال: بسم اللّه أرقيك من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، اللّه يشفيك، ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سُحِرَ، ثم عافاه اللّه تعالى وشفاه، ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول اللّه ﷺ يوماً من الدهر بل كفى اللّه وشفى وعافى.
وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية حدّثنا الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً، قال فجاءه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجيء بها، فبعث رسول اللّه ﷺ فاستخرجها فجاءه بها فَحَلَّهَا.
قال: فقام رسول اللّه ﷺ كأنما نشط من عقال. فما ذكره ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير.
وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه: حدّثنا عبد اللّه بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدّثنا به ابن جريج يقول: حدّثني آل عروة عن عروة، فسألت هشاماً عنه فحدّثنا عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول اللّه ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشدّ ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: «يا عائشة أعلمت أن اللّه قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي.
فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً، قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان».
قالت: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أُرِيْتُهَا وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين».
قال: فاسْتُخْرِج فقلت: أفلا تنشرت؟ فقال: «أما اللّه فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًا» وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي ضمرة أنس بن عياض، وأبي أُسامة ويحيى القطان، وفيه قالت: «حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء، ولم يفعله»، وعنده «فأمر بالبئر فدفنت» وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبي الزناد، والليث بن سعد.
وقد رواه مسلم من حديث أبي أُسامة حماد بن أُسامة وعبد اللّه بن نمير.
ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام. به. ورواه الإمام أحمد أيضاً عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما=

= للآخر: ما به؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم؛ وذكر تمام الحديث.

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي اللَّه عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول اللَّه ﷺ فدبت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له: ابن أعصم، ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان، فمرض رسول اللَّه ﷺ وانتبر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب، قال: وما طب؟ قال له: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي. قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان، و«الجف»: قشر الطلع. و«الراعوفة»: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه المستقي، فانتبه رسول اللَّه ﷺ مذعوراً وقال: «يا عائشة أما شعرت أن اللَّه أخبرني بدائي؟» ثم بعث رسول اللَّه ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر، كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود فيه اثنتا عشرة عقدة مغروزة بالإبرة، فأنزل اللَّه تعالى السورتين[1]، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول اللَّه ﷺ خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: بسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين، اللَّه يشفيك فقال يا رسول اللَّه: أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «أما أنا فقد شفاني اللَّه وأكره أن أثير على الناس شراً، هكذا أورده بلا إسناد فيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم. واللَّه تعالى أعلم».

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٢]، هذه ثلاث صفات من صفات الرب عزّ وجلّ: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه. فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة وعبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلاّ وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهداً في الخبال. والمعصوم من عصمه اللَّه تعالى.

وقد ثبت في الصحيح أنه: «ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه» قالوا: وأنت =

(١) هما سورة «الفَلَقِ» وسورة «النَّاسِ».

= يا رسول اللّه؟ قال: «نعم إلا أن اللّه أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[(١)].
وثبت في الصحيحين عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال رسول اللّه ﷺ: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي» فقالا: سبحان اللّه يا رسول اللّه. فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً ـ أو قال شراً ـ»[(٢)].
وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدّثنا محمد بن بحر حدّثنا عدي بن أبي عمارة حدّثنا زياد النميري عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر اللّه خنس، وإن نسي «اللّه» التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس» غريب[(٣)].
وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن جعفر حدّثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول اللّه ﷺ قال: عثر بالنبي ﷺ حماره فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي صلى اللّه تعالى عليه وآله وسلم: «لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال: بقوتي صرعته وإذا قلت باسم اللّه تصاغر حتى يصير مثل الذباب» تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي. وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر اللّه؛ تصاغر الشيطان وغُلِبَ، وإن لم يذكر اللّه؛ تعاظم وغَلَبَ.
وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو بكر الحنفي حدّثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن أحدكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبَسَّ به كما يُبِسُّ الرجل بدابته فإذا سكن له زنقه أو ألجمه»[(٤)].
قال أبو هريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً كذا لا يذكر اللّه، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر اللّه عزّ وجلّ.
وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله سبحانه: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر اللّه؛ خنس، وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه: ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن، وعند الفرح فإذا ذكر اللّه خنس، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قال: هو الشيطان يأمر فإذا أطيع اللّه خنس.
وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ هل يختص هذا ببني آدم كما هو=

(١) رواه مسلم [٢٨١٤/ ٦٩] عن ابن مسعود رضي اللّه تعالى عنه.
(٢) رواه البخاري [٣١٠٧] ومسلم [٢١٧٥/ ٢٤] عن صفية رضي اللّه تعالى عنها.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه الألباني في ضعيف الجامع [١٤٨٠].
(٤) رواه أبو داود [٤٩٨٢] وأحمد في المسند [٥/ ٥٩، ٧١، ٢٠١] وصححه الألباني.

= الظاهر أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليباً.
وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.
﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، ثم بيّنهم فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾؟ وهذا يقوي القول الثاني.
وقيل قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وكما قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع حدّثنا المسعودي حدّثنا أبو عمر الدمشقي حدّثنا عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا. قال: «قم فصل» قال: فقمت فصليت ثم جلست. فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن. قال: فقلت يا رسول الله: وللإنس شياطين؟ قال: «نعم». قال: فقلت: يا رسول الله ما الصلاة؟ قال: «خير موضوع من شاء أقلّ ومن شاء أكثر» قلت: يا رسول الله فالصوم؟ قال: «فرض مجزئ وعند الله مزيد» قلت: يا رسول الله فالصدقة؟ قال: أضعاف مضاعفة. قلت: يا رسول الله فأيها أفضل؟ قال: «جهد من مقلٍّ أو سر إلى فقير». قلت: يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم» قلت: يا رسول الله أونبياً كان؟ قال: «نعم نبي مكلم»، قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر. جماً غفيراً» وقال مرة: «خمسة عشر» قلت: يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم، قال: آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[(١)].
ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به[(٢)]، وقد أخرج هذا الحديث مطولاً جداً أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جداً. فالله تعالى أعلم.
وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء لئن أَخِرَّ من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به. قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر.. الله أكبر الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»[(٣)]. ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور، زاد النسائي والأعمش كلاهما عن ذر به.
تفسير ابن كثير [٤/ ٥٧٨ ـ ٥٨١]

(١) رواه أحمد في المسند [٥/ ١٧٨] وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.
(٢) رواه النسائي في المجتبى [٨/ ٢٧٥/ ٥٥٠٧] وقال الألباني: ضعيف الإسناد.
(٣) رواه أحمد في المسند [١/ ٢٣٥] وابن حبان في صحيحه [١/ ٣٦٠/ ١٤٧] وقال الأرناؤوط: صحيح على شرطهما ورواه أبو داود [٥١١٢] وقال الألباني: صحيح.

عقوبة الحاسد

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] الأمة: هي الجماعة التي يجمعها رباط من أرض، أو من مُلك، أو نظام حكم، أو دين.

إذن.. كل المؤمنين في جميع بقاع الأرض هم أمة واحدة لأنهم إخوة. والرسل إنما جاؤوا ليتمموا منهج الله ورسالته إلى الناس، ولذلك وصف الرسول ﷺ النبوة والرسالات التي سبقته ببيت جميل لا ينقصه إلا موضع لبنة واحدة وقال: «وأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين»(١) وكلمة أمة تطلق على الرجل الذي يجمع كل خصال الخير؛ لأن خصال الخير خلقها الله ونثرها في خلقه، فكل إنسان عنده موهبة في ناحية معينة، ويندر أن يوجد إنسان يجمع بين عدة مواهب أو عدة فضائل، وذلك من حكمة الله تعالى؛ لأن الإنسان حينما يتميز بشيء ويكون غيره محتاجاً إليه فيه، يكون هو محتاجاً إلى غيره في شيء آخر.

إذن.. رباط المجتمعات هو في نشر الفضائل بين مجموع الناس وليس في تجميعها في شخص واحد، وبذلك يكون كل إنسان محتاجاً لغيره مهما كان غنياً أو ذكياً، وحاجات الإنسان فيها حاجات تطوع وحاجات اضطرار، فلو فرضنا أن كل الناس تخرجوا من الجامعة وأصبحوا أطباء ومهندسين وصيادلة ومحامين... إلخ. فمن الذي سيقوم بالمهام الأخرى مثل كنس الشوارع وجمع القمامة وإصلاح بالوعات المجاري وغيرها من الأعمال؟ فلو أن الناس كلهم من خريجي الجامعات ويعملون في وظائفهم، والحياة محتاجة إلى نظافة الشوارع والأعمال التي ذكرناها، فلا بدّ إذن أن يجتمع هؤلاء الموظفون ويقسموا هذه المهمة بينهم، فمثلاً: يتطوع الأطباء بكنس الشارع يوماً، والمهندسون يوماً آخر، وهكذا.

---

(١) روى البخاري [٣٣٤٢] ومسلم [٢٢٨٦/ ٢٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله. فجعل الناس يطوفون به. يقولون: ما رأينا بنياناً أحسن من هذا. إلا هذه اللبنة. فكنت أنا تلك اللبنة».

أما الإنسان الذي يحسد، فهو يعاني من تضارب الملكات، حتى إنه يبدو وكأنه يأكل بعضه بعضاً.

إنَّ الحسد جريمة نفسية، ويقال عن الحسد: إنه الجريمة التي تسبقها عقوبتها وهي عكس أي جريمة أخرى، فأي جريمة نجد أن عقوبتها تتأخر عنها إلا الحسد؛ وذلك أن عقوبة الحسد تنال من صاحبها من قبل أن يحسد؛ لأن الحاسد لا يحسد إلا لأن قلبه ومشاعره تتمزق عندما يرى المحسود في خير، وهكذا نجد أن الحسد جريمة تسبقها عقوبتها، ولذلك يقال: «حسبك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك»، ويقول الشاعر:

اصبرْ على مضض الحَسو ... دِ فَإنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُه

فالنَّارُ تأكلُ بعضَها ... إنْ لمْ تَجِدْ ما تأكلُه[1]

(١) ذكره في مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي وعزاه لابن المعتز.

obeikandl.com

من تراث شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

- الحسد مرض في القلب.
- البخل والحسد.
- تطهير القلب مما يكره اللَّه.
- تفسير سورة «الفلق».
- الثلاث المهلكات.

اختيار ودراسة وتحقيق

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

oberkanal.com

obeikandl.com

الحسد مرض في القلب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من أمراض القلوب «الحسد» كما قال بعضهم في حدِّه: إنه أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأغنياء؛ فلا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً؛ لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل.

وقد قال طائفة من الناس: إنه تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها. بخلاف الغبطة فإنه تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط.

والتحقيق: أن الحسد هو: البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود، وهو نوعان:

أحدهما: كراهة للنعمة عليه مطلقا. وهذا هو الحسد المذموم وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه فيكون ذلك مرضاً في قلبه، ويلتذ بزوال النعمة عنه، وإن لم يحصل له نفع بزوالها؛ لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه، ولكن ذلك الألم لم يزل إلا بمباشرة منه وهو راحة. وأشده كالمريض الذي عولج بما يسكّن وجعه والمرض باق؛ فإن بغضه لنعمة اللّه على عبده مرض فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود. والحاسد ليس له غرض في شيء معين؛ لكن نفسه تكره ما أنعم به على النوع. ولهذا قال من قال: إنه تمني زوال النعمة، فإن من كره النعمة على غيره؛ تمنى زوالها بقلبه.

والنوع الثاني: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه، فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه، فهذا حسد وهو الذي سموه الغبطة وقد سمّاه النبي ﷺ حسداً في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي اللّه عنهما أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه اللّه مالا وسلطه على هلكته في الحق»[(١)] هذا لفظ ابن مسعود.

ولفظ ابن عمر: «رجل آتاه اللّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل

---

(١) رواه مسلم [٨١٦/ ٢٧٠].

آتاه اللَّه مالا فهو ينفق منه في الحق آناء الليل والنهار»[١] رواه البخاري من حديث أبي هريرة ولفظه: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه اللَّه القرآن فهو يتلوه الليل والنهار، فسمعه رجل فقال: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا، ورجل آتاه اللَّه مالا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا»[٢].

فهذا الحسد الذي نهى عنه النبي ﷺ إلا في موضعين، هو الذي سمّاه أولئك الغبطة، وهو أن يحب مثل حال الغير، ويكره أن يفضل عليه.

فإن قيل: إذن لم سمي حسداً وإنما أحب أن ينعم اللَّه عليه؟

قيل: مبدأ هذا الحب هو نظره إلى إنعامه على الغير، وكراهته أن يتفضل عليه، ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك، فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يتفضل عليه الغير كان حسداً؛ لأنه كراهة تتبعها محبة. وأما من أحب أن ينعم اللَّه عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس، فهذا ليس عنده من الحسد شيء. ولهذا يبتلى غالب الناس بهذا القسم الثاني، وقد تسمى المنافسة فيتنافس الإثنان في الأمر المحبوب المطلوب، كلاهما يطلب أن يأخذه وذلك لكراهية أحدهما أن يتفضل عليه الآخر، كما يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر، والتنافس ليس مذموماً مطلقاً بل هو محمود في الخير.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٦].

فأمر المنافس أن ينافس في هذا النعيم، لا ينافس في نعيم الدنيا الزائل، وهذا موافق لحديث النبي ﷺ فإنه نهى عن الحسد إلا فيمن أوتي العلم، فهو يعمل به ويعلمه، ومن أوتي المال فهو ينفقه، فأما من أوتي علماً ولم يعمل به ولم يعلّمه، أو أوتي مالا ولم ينفقه في طاعة اللَّه، فهذا لا يحسد ولا يتمنى مثل حاله، فإنه ليس في خير يرغب فيه بل هو معرض للعذاب. ومن ولي ولاية فيأتيها بعلم وعدل: أدّى الأمانات إلى أهلها وحكم بين الناس بالكتاب والسنة؛ فهذا درجته عظيمة؛ لكن هذا في جهاد عظيم كذلك المجاهد في سبيل اللَّه.

والنفوس لا تحسد من هو في تعب عظيم فلهذا لم يذكره وإن كان المجاهد

---

(١) رواه البخاري [٧٠٩١] ومسلم [٨١٥/ ٢٦٦].

(٢) رواه البخاري [٤٧٣٨] ومسلم [٨١٥/ ٢٦٦].

في سبيل اللّه أفضل من الذي ينفق المال؛ بخلاف المنفق والمعلم فإن هذين ليس لهما في العادة عدو من خارج، فإن قدر أنهما لهما عدو يجاهدانه. فذلك أفضل لدرجتهما، وكذلك لم يذكر النبي ﷺ المصلي والصائم والحاج؛ لأن هذه الأعمال لا يحصل منها في العادة من نفع الناس الذي يعظمون به الشخص ويسودونه ما يحصل بالتعليم والإنفاق.

والحسد في الأصل إنما يقع لما يحصل للغير من السؤدد والرياسة، وإلا فالعامل لا يُحسد في العادة، ولو كان تنعمه بالأكل والشرب والنكاح أكثر من غيره، بخلاف هذين النوعين فإنهما يحسدان كثيراً، ولهذا يوجد بين أهل العلم الذين لهم أتباع من الحسد ما لا يوجد فيمن ليس كذلك، وكذلك فيمن له أتباع بسبب إنفاق ماله. فهذا ينفع الناس بقوت القلوب، وهذا ينفعهم بقوت الأبدان.

والناس كلهم محتاجون إلى ما يصلحهم من هذا وهذا. ولهذا ضرب اللّه سبحانه «مثلين»: مثلا بهذا ومثلا بهذا فقال: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

والمثلان ضربهما اللّه سبحانه لنفسه المقدسة، ولما يعبد من دونه؛ فإن الأوثان لا تقدر لا على عمل ينفع، ولا على كلام ينفع، فإذا قدّر عبد مملوك لا يقدر على شيء، وآخر قد رزقه اللّه رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستوي هذا المملوك العاجز عن الإحسان، وهذا القادر على الإحسان المحسن إلى الناس سراً وجهراً؟ وهو سبحانه قادر على الإحسان إلى عباده وهو محسن إليهم دائماً، فكيف يشبه به العاجز المملوك الذي لا يقدر على شيء حتى يشرك به معه؟ وهذا مثل الذي أعطاه اللّه مالا فهو ينفق منه آناء الليل والنهار.

والمثل الثاني: إذا قدر شخصان أحدهما أبكم لا يعقل ولا يتكلم ولا يقدر على شيء، وهو مع هذا كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير، فليس فيه من نفع قط، بل هو كَلٌّ على من يتولى أمره، وآخر عالم عادل، يأمر بالعدل ويعمل بالعدل فهو على صراط مستقيم. وهذا نظير الذي أعطاه اللّه الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس.

وقد ضرب ذلك مثلاً لنفسه؛ فإنه سبحانه عالم عادل قادر يأمر بالعدل وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم.

كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

ولهذا كان الناس يعظمون دار العباس، كان عبد اللَّه يعلم الناس، وأخوه يطعم الناس، فكانوا يُعظَّمون على ذلك.

ورأى معاوية الناس يسألون ابن عمر عن المناسك وهو يفتيهم فقال: هذا واللَّه الشرف أو نحو ذلك.

هذا وعمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه نافس أبا بكر رضي اللَّه عنه في الإنفاق كما ثبت في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه قال: «أمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول اللَّه ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأتى أبو بكر رضي اللَّه عنه بكل ما عنده، فقال له رسول اللَّه ﷺ: ما أبقيت لأهلك قال: أبقيت لهم اللَّه ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً»[(١)].

فكان ما فعله عمر من المنافسة والغبطة المباحة؛ لكن حال الصدّيق رضي اللَّه عنه أفضل منه وهو أنه خال من المنافسة مطلقاً لا ينظر إلى حال غيره.

وكذلك «موسى عليه السلام في حديث المعراج حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتى بكى لما تجاوزه النبي ﷺ فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي؛ لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

وروي في بعض الألفاظ المروية غير الصحيح: «مررنا على رجل وهو يقول ويرفع صوته: أكرمته وفضلته، قال: فرفعناه إليه فسلمنا عليه فرد السلام، فقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا أحمد، قال: مرحباً بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته، قال: ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل، قال: هذا

---

(١) رواه أبو داود [١٦٧٨]، والترمذي [٣٦٧٥] وحسنه الألباني.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري [٣٦٧٤].

موسى بن عمران، قلت: ومن يعاتب؟ قال: يعاتب ربه فيك، قلت: ويرفع صوته على ربه؟ قال: إن اللَّه عزَّ وجلَّ قد عرف صدقه».

وعمر رضي اللَّه عنه كان مشبهاً بموسى، ونبينا حاله أفضل من حال موسى، فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك.

وكذلك كان في الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ونحوه، كانوا سالمين من جميع هذه الأمور، فكانوا أرفع درجة ممن عنده منافسة وغبطة، وإن كان ذلك مباحاً، ولهذا استحق أبو عبيدة رضي اللَّه عنه أن يكون أمين هذه الأمة[1] فإن المؤتمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة على شيء مما أؤتمن عليه كان أحق بالأمانة ممن يخاف مزاحمته؛ ولهذا يؤتمن على النساء والصبيان الخصيان، ويؤتمن على الولاية الصغرى؛ من يعرف أنه لا يزاحم على الكبرى، ويؤتمن على المال؛ من يعرف أنه ليس له غرض في أخذ شيء منه، وإذا أؤتمن من في نفسه خيانة؛ شبه بالذئب المؤتمن على الغنم، فلا يقدر أن يؤدي الأمانة في ذلك لما في نفسه من الطلب لما أؤتمن عليه.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس رضي اللَّه تعالى عنه قال: كنا يوماً جلوساً عند رسول اللَّه ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال: فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوء، قد علق نعليه في يده الشمال؛ فسلم، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل على مثل حاله، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مقالته فطلع ذلك الرجل على مثل حاله فلما قام النبي ﷺ، اتبعه عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت. قال: نعم، قال أنس رضي اللَّه تعالى عنه: فكان عبد اللَّه يحدث أنه بات عنده ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً؛ غير أنه إذا تعار وانقلب على فراشه؛ ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ وكبر حتى يقوم إلى صلاة الفجر، فقال عبد اللَّه غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما فرغنا من الثلاث وكدت أن أحقر عمله، قلت: يا عبد اللَّه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول ثلاث مرات: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك لأنظر

---

(١) رواه البخاري [٤١٢١]، ومسلم [٢٤١٩/ ٥٣].

ما عملك فأقتدي بذلك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق»[(١)].

فقول عبد الله بن عمرو له: «هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق»، يشير إلى خلوه وسلامته من جميع أنواع الحسد. وبهذا أثنى الله تعالى على الأنصار فقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أي: مما أوتي إخوانهم المهاجرون.

قال المفسرون: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون، ثم قال بعضهم: من مال الفيء، وقيل: من الفضل والتقدم، فهم لا يجدون حاجة مما أوتوا من المال ولا من الجاه.

والحسد يقع على هذا.

وكان بين الأوس والخزرج منافسة على الدين، فكان هؤلاء إذا فعلوا ما يفضلون به عند الله ورسوله، أحب الآخرون أن يفعلوا نظير ذلك، فهو منافسة فيما يقربهم إلى الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وأما الحسد المذموم كله: فقد قال تعالى في حق اليهود: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]يودون أي: يتمنون ارتدادكم حسداً فجعل الحسد هو الموجب لذلك الود من بعد ما تبين لهم الحق؛ لأنهم لما رأوا أنكم قد حصل لكم من النعمة ما حصل؛ بل ما لم يحصل لهم مثله، حسدوكم.

وكذلك في الآية الأخرى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٤، ٥٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ ـ ٥].

---

(١) رواه أحمد في المسند [٣/ ١٦٦] وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

وقد ذكر طائفة من المفسرين: أنها نزلت بسبب حسد اليهود للنبي ﷺ حتى سحروه: سحره لبيد بن الأعصم اليهودي.

فالحاسد المبغض للنعمة على من أنعم الله عليه بها؛ ظالم معتد. والكاره لتفضيله المحب لمماثلته؛ منهي عن ذلك، إلا فيما يقربه إلى الله فإذا أحب أن يُعطى مثل ما أعطي مما يقربه إلى الله؛ فهذا لا بأس به، وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير؛ أفضل.

ثم هذا الحسد إن عمل بموجبه صاحبه كان ظالماً معتدياً مستحقاً للعقوبة، إلا أن يتوب، وكان المحسود مظلوماً مأموراً بالصبر والتقوى، فيصبر على أذى الحاسد ويعفو ويصفح عنه كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا۟ وَاصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقد ابتلي يوسف بحسد إخوته له حيث قالوا: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] فحسدوهما على تفضيل الأب لهما، ولهذا قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

ثم إنهم ظلموه بتكلمهم في قتله وإلقائه في الجب وبيعه رقيقاً لمن ذهب به إلى بلاد الكفر، فصار مملوكاً لقوم كفار. ثم إن يوسف ابتلي بعد أن ظلم بمن يدعوه إلى الفاحشة، ويراود عليها ويستعين عليه بمن يعينه على ذلك فاستعصم واختار السجن على الفاحشة وآثر عذاب الدنيا على سخط الله فكان مظلوماً من جهة من أحبته؛ لهواها وغرضها الفاسد.

وهذه المُحِبة أحبته لهوى فيه شفاؤها إن وافقها. وأولئك المبغضون أبغضوه بغضة أوجبت أن يصير ملقى في الجب، ثم أسيراً مملوكاً بغير اختياره، فأولئك أخرجوه من إطلاق الحرية إلى رق العبودية الباطلة بغير اختياره، وهذه ألجأته إلى أن اختار أن يكون محبوساً مسجوناً باختياره، فكانت هذه أعظم في محنته، وكان صبره هنا صبراً اختيارياً اقترن به التقوى، بخلاف صبره على ظلمهم؛ فإن ذلك كان من باب المصائب التي من لم يصبر عليها صبر الكرام؛ سلا سلو البهائم.

والصبر الثاني أفضل الصبرين. ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وهكذا إذا أوذي المؤمن على إيمانه وطلب منه الكفر أو الفسوق أو العصيان

وإن لم يفعل أوذي وعوقب فاختار الأذى والعقوبة على فراق دينه: إما الحبس وإما الخروج من بلده. كما جرى للمهاجرين حيث اختاروا فراق الأوطان على فراق الدين وكانوا يعذبون ويؤذون.

وقد أوذي النبي ﷺ بأنواع من الأذى فكان يصبر عليها صبراً اختيارياً فإنه إنما يؤذى لئلا يفعل ما يفعله باختياره وكان هذا أعظم من صبر يوسف؛ لأن يوسف إنما طُلب منه الفاحشة وإنما عوقب إذا لم يفعل بالحبس، والنبي ﷺ وأصحابه طلب منهم الكفر وإذا لم يفعلوا طلب عقوبتهم بالقتل فما دونه، وأهون ما عوقب به الحبس، فإن المشركين حبسوه وبني هاشم بالشعب مدة، ثم لما مات أبو طالب اشتدوا عليه، فلما بايعت الأنصار وعرفوا بذلك صاروا يقصدون منعه من الخروج ويحبسونه هو وأصحابه عن ذلك، ولم يكن أحد يهاجر إلا سراً إلا عمر بن الخطاب ونحوه فكانوا قد ألجأوهم إلى الخروج من ديارهم ومع هذا منعوا من منعوه منهم عن ذلك وحبسوه. فكان ما حصل للمؤمنين من الأذى والمصائب هو باختيارهم طاعة لله ورسوله. ولم يكن من المصائب السماوية التي تجري بدون اختيار العبد من جنس حبس يوسف لا من جنس التفريق بينه وبين أبيه. وهذا أشرف النوعين وأهلها أعظم درجة ـ وإن كان صاحب المصائب يثاب على صبره ورضاه وتكفر عنه الذنوب بمصائبه ـ فإن هذا أصيب وأوذي باختياره طاعة لله، يثاب على نفس المصائب ويكتب له بها عمل صالح.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

بخلاف المصائب التي تجري بلا اختيار العبد كالمرض، وموت العزيز عليه، وأخذ اللصوص ماله؛ فإن تلك إنما يثاب على الصبر عليها لا على نفس ما يحدث من المصيبة؛ لكن المصيبة يكفر بها خطاياه فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها. والذين يؤذون على الإيمان وطاعة الله ورسوله ويحدث لهم بسبب ذلك حرج أو مرض أو حبس أو فراق وطن أو ذهاب مال أو أهل أو ضرب أو شتم أو نقص رياسة، أو مال؛ هم في ذلك على طريقة الأنبياء وأتباعهم كالمهاجرين الأولين، فهؤلاء يثابون على ما يؤذون به، ويكتب لهم به عمل صالح، كما يثاب المجاهد على ما يصيبه من الجوع، والعطش، والتعب، وعلى

غيظه الكفار، وإن كانت هذه الآثار ليست عملاً فعله يقوم به، لكنها متسببة عن فعله الاختياري وهي التي يقال لها متولدة. وقد اختلف الناس هل يقال إنها فعل لفاعل السبب، أو للّه، أو لا فاعل لها؟ والصحيح أنها مشتركة بين فاعل السبب، وسائر الأسباب، ولهذا كُتب له بها عمل صالح.

والمقصود: أن «الحسد» مرض من أمراض النفس وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه.

وقد قيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك، ولكن عَمِّه في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولساناً، فمن وجد في نفسه حسداً لغيره، فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه، وكثير من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود، فلا يعينون من ظلمه، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه بل إذا ذمه أحد لم يوافقوه على ذمه، ولا يذكرون محامده وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا، وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه، مفرطون في ذلك؛ لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم، فلا ينصفون أيضاً في مواضع، ولا ينصرون على من ظلمهم، كما لم ينصروا هذا المحسود، وأما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب، ومن اتقى اللّه وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه اللّه بتقواه؛ كما جرى لزينب بنت جحش رضي اللّه عنها فإنها كانت هي التي تسامي عائشة من أزواج النبي ﷺ.

وحسد النساء بعضهن لبعض كثير غالب لا سيما المتزوجات بزوج واحد فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها.

وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة، أو مال، إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر؛ ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضل الآخر عليه، وكحسد إخوة يوسف وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه، فإنه حسده لكون أن اللّه تقبل قربانه ولم يتقبل قربان هذا؛ فحسده عل ما فضله اللّه من الإيمان والتقوى ـ كحسد اليهود للمسلمين ـ وقتله على ذلك؛ ولهذا قيل: أول ذنب عُصي اللّه به ثلاثة: الحرص والكبر والحسد. فالحرص من آدم، والكبر من إبليس والحسد من قابيل حيث قتل هابيل.

وفي الحديث: «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد والظن والطيرة.

وسأحدثكم بما يخرج من ذلك إذا حسدت فلا تبغض وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض» رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة[١].

وفي السنن عن النبي ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»[٢].

فسمّاه داء كما سمى البخل داء في قوله: «وأي داء أدوأ من البخل»[٣] فعُلم أن هذا مرض.

وقد جاء في حديث آخر: «أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء» فعطف الأدواء على الأخلاق والأهواء. فإن «الخلق» ما صار عادة للنفس وسجية.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قال ابن عباس، وابن عيينة، وأحمد بن حنبل رضي اللّه تعالى عنهم: على دين عظيم، وفي لفظ عن ابن عباس: على دين الإسلام.

وكذلك قالت عائشة رضي اللّه تعالى عنها: «كان خلقه القرآن»[٤].

وكذلك قال الحسن البصري: أدب القرآن هو الخلق العظيم.

وأما «الهوى» فقد يكون عارضاً، والداء هو المرض، وهو تألم القلب، والفساد فيه.

وقرن في الحديث الأول الحسد بالبغضاء؛ لأن الحاسد يكره أولاً فضل اللّه على ذلك الغير؛ ثم ينتقل إلى بغضه؛ فإن بغض اللازم يقتضي بغض الملزوم، فإن

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء، وقال العراقي: حديث «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن والطيرة، والحسد، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك: إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ»، وفي رواية: «وقلّ من ينجو منهن» أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور، والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضاً من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف.
ورواه الطبراني في الكبير [٣/ ٢٢٨/ ٣٢٢٧] عن حارثة بن النعمان رضي اللّه نه.

(٢) رواه الترمذي [٢٥١٠] عن الزبير بن العوام رضي اللّه تعالى عنه وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري [٢٩٦٨] عن جابر رضي اللّه تعالى عنه.

(٤) رواه أحمد في المسند [٦/ ٢١٦] وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

obeikandl.com

نعمة اللَّه إذا كانت لازمة وهو يحب زوالها وهي لا تزول إلا بزواله؛ أبغضه وأحب عدمه.

والحسد يوجب البغي كما أخبر اللَّه تعالى عمن كان قبلنا: أنهم اختلفوا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الجاثية: ١٧] فلم يكن اختلافهم لعدم العلم، بل علموا الحق، ولكن بغى بعضهم على بعض، كما يبغي الحاسد على المحسود.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي اللَّه تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد اللَّه إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[(١)].

وقد قال ﷺ في الحديث المتفق على صحته من رواية أنس أيضاً: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(٢)].

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّۖ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ۝ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٧٢، ٧٣].

فهؤلاء المبطئون لم يحبوا لإخوانهم المؤمنين ما يحبون لأنفسهم، بل إن أصابتهم مصيبة فرحوا باختصاصهم، وإن أصابتهم نعمة لم يفرحوا لهم بها، بل أحبوا أن يكون لهم منها حظ، فهم لا يفرحون إلا بدنيا تحصل لهم، أو شر دنيوي ينصرف عنهم إذ كانوا لا يحبون اللَّه ورسوله والدار الآخرة ولو كانوا كذلك لأحبوا إخوانهم وأحبوا ما وصل إليهم من فضله، وتألموا بما يصيبهم من المصيبة، ومن لم يسره ما يسر المؤمنين ويسوءه ما يسوء المؤمنين فليس منهم.

ففي الصحيحين عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد. إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري [٥٨٨٣] ومسلم [٢٥٥٩/ ٢٣] عن أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه تعالى عنه.

(٢) رواه البخاري [١٣] ومسلم [٤٥/ ٧١] بدون لفظ: والذي نفسي بيده، والنسائي في المجتبى [٨/ ١١٥/ ٥٠١١] بزيادة «.. لنفسه من الخير» وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري [٥٦٦٥] ومسلم [٢٥٨٦/ ٦٦].

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه تعالى عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»[(١)].

والشح مرض، والبخل مرض، والحسد شر من البخل، كما في الحديث الذي رواه أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار»[(٢)].

وذلك أن البخيل يمنع نفسه، والحسود يكره نعمة اللَّه على عباده، وقد يكون في الرجل إعطاء لمن يعينه على أغراضه وحسد لنظرائه، وقد يكون فيه بخل بلا حسد لغيره، والشح أصل ذلك. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»[(٣)].

وكان عبد الرحمن بن عوف يكثر من الدعاء في طوافه يقول: اللَّهم قني شح نفسي، فقال له رجل: ما أكثر ما تدعو بهذا، فقال: إذا وقيت شح نفسي، وقيت الشح والظلم والقطيعة.

(١) رواه البخاري [٢٣١٤] ومسلم [٢٥٨٥/ ٦٥].
(٢) رواه أبو داود [٤٩٠٣] وضعفه الألباني.
(٣) رواه أبو داود [١٦٩٨] وصححه الألباني.

obeikandl.com

البخل والحسد

البخل والحسد مرض يوجب بغض النفس لما ينفعها، بل وحبها لما يضرها، ولهذا يقرن الحسد بالحقد والغضب، وأما مرض الشهوة والعشق فهو حب النفس لما يضرها، وقد يقترن به بغضها لما ينفعها، والعشق مرض نفساني، وإذا قوي أثر في البدن فصار مرضاً في الجسم، إما من أمراض الدماغ كالماليخوليا؛ ولهذا قيل فيه: هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، وإما من أمراض البدن كالضعف والنحول ونحو ذلك. والمقصود هنا «مرض القلب» فإنه أصل محبة النفس لما يضرها، كالمريض بالبدن الذي يشتهي ما يضره وإذا لم يطعم ذلك تألم وإن أطعم ذلك قوي به المرض وزاد. كذلك العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملامسة وسماعاً، بل ويضره التفكر فيه والتخيل له وهو يشتهي ذلك فإن منع من مشتهاه تألم وتعذب، وإن أعطي مشتهاه قوي مرضه وكان سبباً لزيادة الألم.

وفي الحديث: «أن اللَّه يحمي عبده المؤمن الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب»[(١)].

وفي مناجاة موسى المأثورة عن وهب التي رواها الإمام أحمد في «كتاب الزهد»: «يقول اللَّه تعالى: إني لأذود أوليائي عن نعيم الدنيا ورخائها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مراتع الهلكة. وإني لأجنبهم سكونها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة، وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا ولم يطفئه الهوى».

وإنما شفاء المريض ليس بزوال مرضه، بل بزوال ذلك الحب المذموم من قلبه. والناس في العشق على قولين: قيل: إنه من باب الإرادات وهذا هو المشهور.

وقيل: من باب التصورات، وأنه فساد في التخييل حيث يتصور المعشوق على ما هو به قال هؤلاء: ولهذا لا يوصف اللَّه بالعشق، ولا أنه يعشق؛ لأنه منزه

(١) رواه الترمذي [٢٠٣٦] عن قتادة بن النعمان، وصححه الألباني.

عن ذلك ولا يحمد من يتخيل فيه خيالاً فاسداً. وأما الأولون فمنهم من قال: يوصف بالعشق فإنه المحبة التامة؛ واللّه يُحب ويُحب وروي في أثر عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: «لا يزال عبدي يتقرب إلي. يعشقني وأعشقه» وهذا قول بعض الصوفية. والجمهور لا يطلقون هذا اللفظ في حق اللّه؛ لأن العشق هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي، واللّه تعالى محبته لا نهاية لها فليست تنتهي إلى حد لا تنبغي مجاوزته.

قال هؤلاء: والعشق مذموم مطلقاً لا يمدح لا في محبة الخالق ولا المخلوق لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحمود. وأيضاً: فإن لفظ «العشق» إنما يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأة أو صبي ولا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والوطن والجاه ومحبة الأنبياء والصالحين وهو مقرون كثيراً بالفعل المحرم: إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبي يقترن به بالنظر المحرم واللمس المحرم وغير ذلك من الأفعال المحرمة. وأما محبة الرجل لامرأته أو سريته محبة تخرجه عن العدل، بحيث يفعل لأجلها ما لا يحل ويترك ما يجب، كما هو الواقع كثيراً حتى يظلم ابنه من امرأته العتيقة؛ لمحبته للجديدة، وحتى يفعل من مطالبها المذمومة ما يضره في دينه ودنياه، مثل أن يخصها بميراث لا تستحقه، أو يعطي أهلها من الولاية والمال ما يتعدى به حدود اللّه، أو يسرف في الإنفاق عليها، أو يملكها من أمور محرمة تضره في دينه ودنياه، وهذا في عشق من يباح له وطؤها. فكيف عشق الأجنبية والذكران من العالمين، ففيه من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، وهو من الأمراض التي تفسد دين صاحبها وعرضه ثم قد تفسد عقله ثم جسمه.

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ومن في قلبه مرض الشهوة وإرادة الصورة متى خضع المطلوب طمع المريض والطمع هو الذي يقوي الإرادة والطلب. ويقوي المرض بذلك بخلاف ما إذا كان آيساً من المطلوب فإن اليأس يزيل الطمع فتضعف الإرادة فيضعف الحب، فإن الإنسان لا يريد أن يطلب ما هو آيس منه، فلا يكون مع الإرادة عمل أصلاً، بل يكون حديث نفس إلا أن يقترن بذلك كلام أو نظر ونحو ذلك فيأثم بذلك.

فأما إذا ابتلي بالعشق وعف وصبر فإنه يثاب على تقواه اللّه، وقد روي في الحديث: «أن من عشق فعف وكتم وصبر ثم مات كان شهيداً» وهو معروف من

رواية يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه نظر، ولا يحتج بهذا[1].

لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات، نظراً وقولاً، وعملاً، وكتم ذلك، فلم يتكلم به، حتى لا يكون في ذلك كلام محرم، إما شكوى إلى المخلوق، وإما إظهار فاحشة، وإما نوع طلب للمعشوق، وصبر على

---

(١) قال في كشف الخفاء [٢/ ٣٤٥/ ٢٥٣٨] «من عشق فعف فكتم فمات مات شهيداً» رواه الخطيب في ترجمة محمد بن داود الأصبهاني عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «فهو شهيد» ورواه جعفر السراج في مصارع العشاق عن سويد بلفظ: «من عشق فظفر فعف فمات مات شهيداً» ورواه ابن المرزبان عن أبي بكر الأزرق عن سويد موقوفاً، وقال: إن شيخه كان حدثه به مرفوعاً فعاتبه فيه، فأسقط الرفع، ثم صار بعد يرويه موقوفاً، وهو مما أنكره يحيى بن معين وغيره على سويد، حتى أن الحاكم قال في تاريخه: يقال إن يحيى لما ذكر هذا الحديث قال: لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً.

قال في المقاصد: لكنه لم ينفرد به، وقد رواه الزبير بن بكار عن مجاهد مرفوعاً بسند صحيح، وذكره ابن حزم في معرض الاحتجاج، فقال:

فإن أهلك هوى أهلك شهيداً ... وإن تمنن بقيت قرير عين

وروى هذا لنا قوم ثقات ... نأوا بالصدق عن كذب ومين

وذكر نحوه منظوماً الباجي وأبو القاسم القشيري وغيرهما، ومنه قول ابن الربيع:

تعفف إذا ما تخل بالخلّ عالماً ... بكون إلهي ناظراً وشهيدا

ففي خبر المختار: من عف كاتماً هواه إذا ما مات مات شهيداً وقال في الدرر: حديث «من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد» له طرق عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور، والخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق وللديلمي بلا سند عن أبي سعيد رفعه: «العشق من غير ريبة كفارة للذنوب».

وقد عقد شيخنا الشيخ عبد الغني رحمه الله تعالى حديث الديلمي فقال:

يا من يحب حبيبه ... أترك جميع العيوب

واقدم بنفس منيبة ... واشرب بألطف كوب

ولا تخف شر ريبة ... من جاهل محجوب

روى الثقات غريبه ... للديلمي المرغوب

في ذي المعاني نسيبه ... فردوسه المطلوب

قد قال من بث طيبه ... طه شفاء القلوب

العشق من غير ريبة ... كفارة للذنوب

وقال ابن القيم في المنار المنيف: [٣٢١] حديث: «من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد» موضوع على رسول الله ﷺ.

طاعة اللَّه وعن معصيته، وعلى ما في قلبه من ألم العشق، كما يصبر المصاب عن ألم المصيبة؛ فإن هذا يكون ممن اتقى اللَّه وصبر ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] وهكذا مرض الحسد وغيره من أمراض النفوس، وإذا كانت النفس تطلب ما يبغضه اللَّه فينهاها خشية من اللَّه، كان ممن دخل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فالنفس إذا أحبت شيئاً سعت في حصوله بما يمكن، حتى تسعى في أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية، فمن أحب محبة مذمومة، أو أبغض بغضاً مذموماً، وفعل ذلك كان آثماً مثل أن يبغض شخصاً لحسده له، فيؤذي من له به تعلق. إما بمنع حقوقهم؛ أو بعدوان عليهم. أو لمحبة له لهواه معه فيفعل لأجله ما هو محرم، أو ما هو مأمور به للَّه، فيفعله لأجل هواه لا للَّه، وهذه أمراض كثيرة في النفوس، والإنسان قد يبغض شيئاً فيبغض لأجله أموراً كثيرة بمجرد الوهم والخيال. وكذلك يحب شيئاً فيحب لأجله أموراً كثيرة؛ لأجل الوهم والخيال كما قال شاعرهم:

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

فقد أحب سوداء؛ فأحب جنس السواد حتى في الكلاب وهذا كله مرض في القلب في تصوره وإرادته.

فنسأل اللَّه تعالى أن يعافي قلوبنا من كل داء؛ ونعوذ باللَّه من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء. والقلب إنما خلق لأجل «حب اللَّه تعالى» وهذه الفطرة التي فطر اللَّه عليها عباده كما قال النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه؛ كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء. ثم يقول أبو هريرة رضي اللَّه عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[1] [الروم: ٣٠].

فاللَّه سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده؛ فإذا تُركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً باللَّه محباً له عابداً له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذه كلها تغير فطرته التي فطره عليها وإن كانت بقضاء اللَّه وقدره ـ كما يتغير البدن بالجدع ـ ثم قد يعود إلى الفطرة إذا يسر اللَّه تعالى لها من يسعى في إعادتها إلى الفطرة. والرسل صلى اللَّه عليهم وسلم

---

(١) رواه البخاري [١٢٩٣] ومسلم [٢٦٥٨/ ٢٢] عن أبي هريرة رضي اللَّه تعالى عنه.

بُعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغيير الفطرة وتحويلها. وإذا كان القلب محباً للّه وحده مخلصاً له الدين لم يبتل بحب غيره أصلاً فضلاً أن يبتلى بالعشق. وحيث ابتلي بالعشق فلنقص محبته للّه وحده. ولهذا لما كان يوسف محباً للّه مخلصاً له الدين لم يبتل بذلك، بل قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وأما امرأة العزيز فكانت مشركة هي وقومها فلهذا ابتليت بالعشق وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه وإلا فالقلب المنيب إلى اللّه الخائف منه. فيه صارفان يصرفان عن العشق:

أحدهما: إنابته إلى اللّه ومحبته له فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء فلا تبقى مع محبة اللّه محبة مخلوق تزاحمه.

والثاني: خوفه من اللّه فإن الخوف المضاد للعشق يصرفه وكل من أحب شيئاً بعشق أو غير عشق فإنه يصرفه عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه إذا كان يزاحمه وينصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك الحب فإذا كان اللّه أحب إلى العبد من كل شيء وأخوف عنده من كل شيء لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف هذا الحب والخوف، بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات. فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1] فكلما فعل العبد الطاعة محبة للّه وخوف منه، وترك المعصية حباً له وخوفاً منه؛ قوي حبه له وخوفه منه فيزيل ما في القلب من محبة غيره، ومخافة غيره.

وهكذا أمراض الأبدان: فإن الصحة تحفظ بالمثل والمرض يدفع بالضد، فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح، فتلك أغذية له. كما في حديث ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً: «إن

---

(١) روى ابن ماجه [٧٤] عن أبي هريرة وابن عباس رضي اللّه تعالى عنهم قالا: «الإيمان يزيد وينقص» وقال الألباني: ضعيف جداً وقال العجلوني في كشف الخفا: رواه أحمد عن معاذ بن جبل، قال القاري عن الفيروزآبادي أنه قال في كتابه الصراط المستقيم الحديث المشهور: «إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» وكذا حديث الإيمان لا يزيد ولا ينقص، كل غير صحيح. انتهى.
وأقول: لكن معنى الأول صحيح، وجرى عليه المحدثون حتى قال البخاري: كتبت عن ألف شيخ وثمانين ليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقولون: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» انتهى.

كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته، وإن مأدبة اللَّه هي القرآن»[١] والآدب المضيف فهو ضيافة اللَّه لعباده. مثل آخر الليل، وأوقات الأذان، والإقامة، وفي سجوده، وفي أدبار الصلوات، ويضم إلى ذلك الاستغفار؛ فإنه من استغفر اللَّه ثم تاب إليه متعه متاعاً حسناً إلى أجل مسمى. وليتخذ ورداً من «الأذكار» في النهار ووقت النوم وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف فإنه لا يلبث أن يؤيده اللَّه بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه.

وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنة وظاهرة فإنها عمود الدين وليكن هجيراه: «لا حول ولا قوة إلا باللَّه»[٢] فإنها بها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال.

ولا يسأم من الدعاء والطلب فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل فيقول: «قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي»[٣].

وليعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً، ولم ينل أحد شيئاً من ختم الخير نبي فمن دونه إلا بالصبر.

والحمد للَّه رب العالمين وله الحمد والمنة على الإسلام والسنة. حمداً يكافئ نعمه الظاهرة والباطنة، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله.

وصل اللَّهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وسلم تسليماً كثيراً. اهـ.

---

(١) روى الحاكم في المستدرك [١/ ٧٤١/ ٢٠٤٠] عن عبد اللَّه رضي اللَّه تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: إن هذا القرآن مأدبة اللَّه فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل اللَّه والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب، ولا يعرُج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن اللَّه يأجركم على تلاوته. كل حرف عشر حسنات.
أما إني لا أقول: «﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن: ألف ولام وميم». وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) روى مسلم [٢٧٠٤/ ٤٤] عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه تعالى عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة فقلت: بلى، فقال: «لا حول ولا قوة إلا باللَّه».

(٣) جزء من حديث رواه البخاري [٥٩٨١] ومسلم [٢٧٣٥/ ٩٠].

تطهير القلب مما يكره الله

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه أيهما أوْلى: معالجة ما يكره الله من قلبك مثل: الحسد، والحقد، والغل، والكبر، والرياء، والسمعة، ورؤية الأعمال، وقسوة القلب. وغير ذلك. مما يختص بالقلب من درنه وخبثه. أو: الاشتغال بالأعمال الظاهرة: من الصلاة، والصيام، وأنواع القربات؛ من النوافل، والمنذورات، مع وجود تلك الأمور في قلبه؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب رحمه الله:

الحمد لله.. من ذلك: ما هو عليه واجب وأن للأوجب فضلاً وزيادة. كما قال: تعالى فيما يرويه عنه رسوله ﷺ: «ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه»[(١)].

ثم قال: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[(٢)].

والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب؛ فإن القلب ملك والأعضاء جنوده. فإذا خبث الملك خبثت جنوده؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت؛ صلح الجسد كله وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله»[(٣)].

وكذلك أعمال القلب لا بدّ أن تؤثر في عمل الجسد وإذا كان المقدم هو الأوجب «سواء» سمي باطناً أو ظاهراً. فقد يكون ما يسمى باطناً أوجب مثل ترك الحسد والكبر؛ فإنه أوجب عليه من نوافل الصيام، وقد يكون مما سمي ظاهراً أفضل. مثل: قيام الليل فإنه أفضل من مجرد ترك بعض الخواطر التي تخطر في القلب من جنس الغبطة ونحوها وكل واحد من عمل الباطن والظاهر يعين الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتورث الخشوع ونحو ذلك من الآثار العظيمة؛ هي أفضل الأعمال والصدقة. والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد في المسند [٦/٢٥٦] وقال الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٢) رواه البخاري [٦١٣٧].

(٣) جزء من حديث رواه البخاري [٥٢] ومسلم [١٥٩٩/١٠٧] عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه.

obeikandl.com

تفسير
سورة «الْفَلَقِ»

قال شيخ الإسلام ناصر السنة قامع البدعة؛ تقي الدين أحمد بن تيمية رحمة الله تعالى عليه: في ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] و«الْفَلَقِ»: فَعَل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض. فكل ما فلقه الرب فهو «فلق».

قال الحسن: «الفَلَقِ» كل ما انفلق عن شيء. كالصبح والحب والنوى.

قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق بان لك أن أكثره عن انفلاق كالأرض بالنبات والسحاب بالمطر.

وقد قال كثير من المفسرين: «الفَلَقِ» الصبح فإنه يقال هذا أبين من فلق الصبح وفرق الصبح.

وقال بعضهم: «الفَلَقِ» الخلق كله. وأما من قال: إنه واد في جهنم أو شجرة في جهنم أو أنه اسم من أسماء جهنم؛ فهذا أمر لا تعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه، ولا بنقل عن النبي ﷺ، ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف ما إذا قال: «رب الخلق» أو «رب كل ما انفلق» أو «رب النور الذي يظهره على العباد بالنهار» فإن في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به، وإذا قيل: «الفَلَقِ» يعم ويخص. فبعمومه للخلق أستعيذ من شر ما خلق. وبخصوصه للنور النهاري أستعيذ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] فإن الغاسق قد فسر للنور النهاري أستعيذ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ فإن الغاسق قد فسر بالليل كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة.

قالوا: ومعنى ﴿وَقَبَ﴾ دخل في كل شيء. قال الزجاج: الغاسق البارد،

وقيل: الليل ﴿غَاسِقٍ﴾ لأنه أبرد من النهار. وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها أن النبي ﷺ: نظر إلى القمر فقال: «يا عائشة تعوذي باللَّه من شره فإنه الغاسق إذا وقب»(١).

وروي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أن الغاسق النجم»(٢).

وقال ابن زيد: هو الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها(٣). وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل فجعلوه قولاً آخر ثم فسروا وقوبه بسكونه.

قال ابن قتيبة: ويقال: الغاسق: القمر إذا كسف واسودّ. ومعنى ﴿وَقَبَ﴾: دخل في الكسوف. وهذا ضعيف؛ فإن ما قاله رسول اللَّه ﷺ لا يعارض بقول غيره. وهو لا يقول إلا الحق وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فالقمر آية الليل. وكذلك النجوم إنما تطلع فترى بالليل فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته والدليل مستلزم للمدلول فإذا كان شر القمر موجوداً فشر الليل موجود وللقمر من التأثير ما ليس لغيره فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى ويكون هذا كقوله عن المسجد المؤسس على التقوى: «هو مسجدي هذا»(٤) مع أن الآية تتناول مسجد قباء قطعاً. وكذلك قوله عن أهل الكساء: «هؤلاء أهل بيتي»(٥) مع أن القرآن

---

(١) رواه الترمذي [٣٣٦٦] وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه ابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه بلفظ: «النجم هو الغاسق، وهو الثريا» كما في الدر المنثور للسيوطي.

(٣) رواه ابن جرير وأبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي.

(٤) روى النسائي في المجتبى[٢/ ٣٦/ ٦٩٧] عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ قالَ: تَمَارَى رَجُلَانِ فِي المَسْجِدِ الَّذي أُسّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوّلِ يَوْمٍ فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ وَقَالَ الآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» وصححه الألباني.
قال السندي: قوله سبحانه وتعالى: «تمارى» تجادل ﴿أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] من أيام بنائه: «هو مسجدي هذا» هذا نص في أن المراد بالمسجد المذكور في القرآن مسجده ﷺ لا مسجد قباء كما زعمه أصحاب التفسير لكونه أوفق للقصة.

(٥) روى الترمذي [٣٢٥٨] عَنْ عُمَرَ بنِ أبي سَلَمَة رَبِيبِ النَّبي ﷺ قالَ لما نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ=

يتناول نساءه، فالتخصيص لكون المخصوص أولى بالوصف. فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة والليل مظلم تنتشر فيه شياطين الإنس والجن ما لا تنتشر بالنهار ويجري فيه من أنواع الشر ما لا يجري بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك. فالشر دائماً مقرون بالظلمة. ولهذا إنما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار ويتوسلون بالقمر وبدعوته والقمر وعبادته.

وأبو معشر البلخي له «مصحف القمر» يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه. فذكر سبحانه الاستعاذة من شر الخلق عموماً، ثم خص الأمر بالاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب. وهو الزمان الذي يعم شره، ثم خص بالذكر السحر والحسد. فالسحر يكون من الأنفس الخبيثة لكن بالاستعانة بالأشياء كالنفث في العقد. والحسد يكون من الأنفس الخبيثة أيضاً إما بالعين وإما بالظلم باللسان واليد.

وخص من السحر النفاثات في العقد وهن النساء. والحاسد الرجال في العادة، ويكون من الرجال ومن النساء، والشر الذي يكون من الأنفس الخبيثة من الرجال والنساء: هو شر منفصل عن الإنسان ليس هو في قلبه كالوسواس الخناس. وفي سورة الناس ذكر: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] فإنه مبدأ الأفعال المذمومة من الكفر والفسوق والعصيان. ففيها الاستعاذة من شر ما يدخل الإنسان

= عَلَى النَّبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيتِ أمِّ سَلَمَة فدعا فاطمةَ وحَسَناً وحُسيناً فجَلَّلهم بِكِساءٍ وعليٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فجلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي فأَذْهِبْ عَنْهمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً. قَالَت أم سَلَمة: وأنا معَهُم يا نبيَّ اللَّه قَالَ أنت عَلَى مكَانِكِ وأنتِ عَلَى خيْرٍ.

وفي رواية [٣٨٧٥] قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجللّه بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال أنت على مكانك وأنت إلى خير.

وفي رواية [٣٩٦٣] عن شهر بن حوشب عن أم سلمة: «أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله قال: إنك على خير».

من الأفعال التي تضره من الكفر والفسوق والعصيان. وقد تضمن ذلك الاستعاذة من شر نفسه.

وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عموماً وخصوصاً. ولهذا قيل فيها: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] وقيل في هذه: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] فإن فالق الإصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من الشر، وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات، فإن فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات، وكذلك الحسد هو من ضيق الإنسان وشحه لا ينشرح صدره لإنعام الله عليه، فرب الفلق يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه، وهو سبحانه لا يفلق شيئاً إلا بخير، فهو فالق الإصباح بالنور الهادي والسراج الوهاج الذي به صلاح العباد، وفالق الحب والنوى بأنواع الفواكه والأقوات التي هي رزق الناس ودوابهم، والإنسان محتاج إلى جلب المنفعة من الهدى والرزق، وهذا حاصل بالفلق والرب الذي فلق للناس ما تحصل به منافعهم، يستعاذ به مما يضر الناس فيطلب منه تمام نعمته بصرف المؤذيات عن عبده الذي ابتدأ بإنعامه عليه. وفلق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة وإخراج الشيء من ضده كما يخرج الحي من الميت والميت من الحي وهذا من نوع الفلق. فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذي، بالضد النافع.

obeikandl.com

الثلاث المهلكات

وقال شيخ الإسلام: ومما يتعلق بالثلاث المهلكات والمنجيات التي ذكر أنه عند المهلكات؛ عليك بخويصة نفسك. أنه قال: «شح مطاع وهوى متبع»[1] فجعل هذا مطاعاً وهذا متبعاً. وهذا واللَّه أعلم لأن الهوى هوى النفس وهو محبتها للشيء وشهوتها له. سواء أريد به المصدر أو المفعول، فصاحب الهوى يأمره هواه ويدعوه فيتبعه، كما تتبع حركات الجوارح إرادة القلب، ولهذا قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وهذا يعم الهوى في الدين كالنصارى، وأهل البدع في المقال والقَدَر. كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء من الرافضة والخوارج. وهذا الهوى موجود في كثير من الفقراء والفقهاء إلا من عصمه اللَّه.

وقد اختلف أصحابنا هل يدخل الفقهاء المختلفون في اسم أهل الأهواء؟

---

(١) أورده الغزالي في الإحياء بلفظ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

وقال العراقي: أخرجه البزار، والطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف.

وقال العجلوني في كشف الخفاء [١٠٣٥] رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر بلفظ: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى، وخشية اللَّه في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبْرات[٢]. ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام».

---

(١) سبْرات: جمع سبْرة بسكون الباء وهي شدة البرد.

على وجهين. أدخلهم في التقسيم القاضي أبو يعلى، وكذلك قبله الشيخ أبو حامد الإسفراييني ـ فيما أظن ـ وأنكره ابن عقيل.

وأما «الشح المطاع» فقد ذكرنا أن مفسدته عائدة إلى منع الخير. وهذا في الأصل ليس هو محبوباً وإنما يحمل عليه الحرص على المشحوح به؛ فإنه من باب النفرة والبغض فهو يأمر صاحبه فيطيعه وليس كل مطاع متبعاً، وإن كان كل متبع مطاعاً فإن الإنسان يطيع الطبيب والأمير وغيرهما في أمور خاصة وليس متبعاً لهم، أما التابع لغيره فهو مطيع وزيادة فإنه يذهب معه حيثما ذهب.

وفرق ثانٍ: أن المتبع الذي يطلب في نفسه. فغاية المتبع: إدراكه ونيله. وهذا شأن الهوى.

وأما المطاع: فغاية لغيره. وهذا شأن الشح.

وتحقيق معنى الشح: أنه شدة المنع التي تقوم في النفس. كما يقال شحيح بدينه، وضنين بدينه، فهو خلق في النفس. والبخل من فروعه.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والشح. فإن الشح أهلك من كان قبلكم. أمرهم بالبخل فبخلوا. وأمرهم بالظلم فظلموا. وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»[1].

---

(١) روى أبو داود [١٦٩٨] عن عبد الله بن عمرو قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «إياكم والشُّحَّ فإنما هلك من كان قبلكم بالشُّحِّ: أمرهم بالبخل فبخلوا. وأمرهم بالقطيعة فقطعوا. وأمرهم بالفجور ففجروا» وصححه الألباني.

قال الخطابي: «الشح أبلغ في المنع من البخل وإنما الشح بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع وأكثر ما يقال في البخل إنما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء. والشح عام وهو كالوصف اللازم للإنسان من قبل الطبع والجبلة. وقال بعضهم: البخل أن يضن بماله وبمعروفه والشح أن يبخل بماله» انتهى.

وقال ابن الأثير: «الشح أشد البخل وهو أبلغ في المنع من البخل. وقيل: هو البخل مع الحرص. وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها والشح عام وقيل: البخل بالمال والشح بالمال والمعروف. والاسم الشح» انتهى.

«قبلكم»: من الأمم «بالشح»: كيف وهو من سوء الظن بالله «أمرهم»: فاعل أمر هو الشح «فبخلوا»: بكسر الخاء «وأمرهم»: أي الشح «بالقطيعة»: للرحم «فقطعوا»: أي الرحم. ومن قطعها قطع الله عنه مزيد رحمته «بالفجور»: وهو الميل عن القصد والسداد. وقيل: هو الانبعاث في المعاصي أو الزنا «ففجروا»: قال ابن رسلان: «ويشبه أن يراد أمرهم بالزنا فزنوا وأمرهم بالقطيعة أي قطيعة الرحم فقطعوها» انتهى. =

وكذلك في حديث عبد الرحمن بن عوف أنه كان يقول في طوافه: رب قني شح نفسي. فقيل له: ما أكثر ما تستعيذ من ذلك فقال: إذا وقيت شح نفسي وقيت الظلم والبخل والقطيعة. أو كما قال؛ ولهذا بين الكتاب والسنة أن الشح والحسد من جنس واحد في قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] فأخبر عنهم بأنهم يبذلون ما عندهم من الخير مع الحاجة وأنهم لا يكرهون ما أنعم به على إخوانهم. وضد الأول البخل وضد الثاني الحسد. ولهذا كان البخل والحسد من نوع واحد فإن الحاسد يكره عطاء غيره والباخل لا يحب عطاء نفسه. ثم قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فإن الشح أصل للبخل وأصل للحسد وهو ضيق النفس وعدم إرادتها وكراهتها للخير على الغير فيتولد عن ذلك امتناعه من النفع وهو البخل وإضرار المنعم عليه وهو الظلم، وإذا كان في الأقارب كان قطيعة.

ولهذا في حديث أبي هريرة الذي رواه النسائي من حديث محمد بن عجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع في النار: مسلم قتل كافراً ثم سدد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن: غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد»[(١)].

ورواه النسائي أيضاً من حديث جماعة عن سهيل بن أبي يزيد عن القعقاع واللحلاح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»[(٢)].

فانظر كيف ذكر الشح في الروايات المشهورة، وفي الأخرى: والحسد. واللفظ الأول أجمع.

وكيف قرن في الحديث السماحة والشجاعة كما قال في الحديث الآخر: «شر ما في المرء: شح هالع وجبن خالع»[(٣)].

فمدح الشجاعة في سبيل الله وذم الشح.

= فالشح من جميع وجوهه يخالف الإيمان ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ قال الخطابي: والفجور ههنا الكذب. وأصل الفجور: الميل والانحراف عن الصدق. ويقال للكاذب: فاجر. وقد فجر أي انحرف عن الصدق.

(١) رواه النسائي [٣١٠٩] وحسنه الألباني.

(٢) رواه النسائي [٣١١٤] وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود [٢٥١١] وصححه الألباني.

ونظير هذا: قوله: «إن من الخيلاء ما يحبها اللَّه وهو اختيال الرجل بنفسه عند الحرب وعند الصدقة»[1] وقصد من الحديث قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فحصر المفلحين فيمن يوق شح نفسه والشحيح الذي لا يحب فعل الخير والذي يضر نفسه ويكره النعمة على غيره.

(١) رواه النسائي [٢٥٥٨] عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه تعالى عنه وحسنه الألباني.

obeikandl.com